المنار
١٣١٥

في يوم السبت ٥ ربيع الثاني سنة ١٣١٧ الموافق ١٢ اغسطس (آب) سنة ١٨٩٩

الجامعة الاسلامية

(وآراء كتاب الجرائد فيها)

أول من كتب وخطب في بيان أحوال المسلمين الاجتماعية وتمثيل أمراضهم ودلالتهم على علاجها وارشادهم الى الاتحاد وجمع الكلمة حكيم الامة الكبير وفيلسوفها الشهير السيد جمال الدين الحسيني الافغاني (تغمده الله تعالى برحمته) فانه كان قد وقف نفسه على تكوين مانسميه اليوم (الجامعة الاسلامية) وكان اكثر سعيه لها من الطريق الاقرب - طريق تنبيه الحكومات المسلمة المستقلة الى الاتحاد

ولكن أباها الحاكمون فكاره * لها جاهل أومكره وهو عالم

ثم أشرب في قلبه مذهبه هذا الحكيم الثاني صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية لهذا العهد (كما المعنا الى ذلك في عدد سابق) ولم يدع الرجلان باباً للاصلاح الاسلامي الا طرقاه وقد بدأا بباب السياسة فكتبا وخطبا ماشاء الله ان يكتبا ويخطبا فلم تأت النتيجة كما طلبا ورغبا ثم استقر رأيهما على ان هذه الامة بالدين وجدت وتكونت وبالدين سادت وعزت

ومن قبل الدين (اي الاعراض عنه) أخذت وابتزّت ومن قبله ضعفت وذلت . وبه يرجع اليها مجدها . ومن أفقه يزغ كوكب سعدها . فأنشأا جريدة (العروة الوثقى) لدعوة المسلمين الى الوحدة الصحيحة وان يجعلوا امامهم الاعظم القرآن الحكيم . أرشدت هذه الجريدة العلماء الى اماتة البدع واحياء السنن كما أرشدت الملوك والامراء ولا سيما المختلفين في المذاهب (كأهل السنة والشيعة) الى الاتحاد والاتفاق وان لايجعلوا الخلاف الفرعي في الدين من اسباب التفرق والانقسام الذي يقضي على الجميع . نبهت وحذرت . وبشرت وأنذرت . بكلام اصاب مواقع الوجدان . وبراهين ملكت قياد الجنان . فاهتز لها العالم الاسلامي هزة لو طال عليها العهد لزلزلت لها الارض زلزالا . ولنفر المسلمون الى الاتحاد خفافا وثقالا . قال الاستاذ المفتي محرر الجريدة حدثني بعض اهل العلم من بغداد قال كنا نقرأ العدد من العروة الوثقى في مجلس السيد سليمان افندي نقيب السادة الاشراف فيتفق رأينا على انه لابد ان يظهر في العالم الاسلامي عمل كبير قبل ان يصدر العدد الذي بعد هذا . ونقل نحو هذا القول عن بعض فضلاء الغرب والشرق . وسمع كاتب هذه السطور والاستاذ الشيخ حسين افندي الجسر مؤلف الرسالة الحميدية يقول مامثاله لو طال الامد على جريدة العروة الوثقى لحدث في العالم الاسلامي انقلاب مهم ولهب المسلمون من رقادهم ونشطوا لاسترجاع مجد آبائهم وأجدادهم . ولقد بلغ من عظم نبإ المسلمين بهذه الجريدة ان حفظها بعضهم عن ظهر قلب وبعضهم يحفظ نسخها الاصلية وبعضهم كتبها فلم يغادر منها شيئاً وهم يعيدون تلاوتها ويسترشدون بها آناً بعد آن . يحفظها اكابر العلماء في الشرق والغرب وانني وجدت كل مافاتني من اعدادها عند فضيلة الاستاذ الجسر فنسختها من عنده . وحدثني الفاضل

صاحب جريدة ثمرات الفنون انه يحفظها في صندوق الحديد حيث يحفظ اثمن ما يملك . وبالجملة كانت العروة الوثقى قبسا من نور القرآن ونفخة من روحه وجدولا من ينبوعه . ظهرت في ضوءها العلة والمعلول . وانتعشت بانتشاقها مشام العقول . ورويت من معين نصائحها الاكباد . حتى رجي ان تكون (وهي العروة الوثقى) رابطة الاتحاد . وقد خافت الدولة الانكليزية يومئذ مغبة الامر . ولم تكن اقدامها قد استقرت في مصر . فحملت حكومة مصر على منعها من دخول البلاد المصرية . كما منعتها هي من البلاد الهندية . وكان هذان القطران أهم موارد امدادها . ومعاهد امتدادها . فبطلت وهيهات ان تنفصم عروة تعليمها وارشادها

ظهرت العروة الوثقى فى جمادى الاولى سنة ١٣٠١ وكل ماصدر منها ١٨ عدداً ثم مرت فترة من الزمن لم تذكر فيها الشؤون الاسلامية العامة في الجرائد الا مايجيء في عرض القول أو يصيبها من رشاش أقلام غير أهلها من الكتاب مما لا يروي غليلا ولا يغني فتيلا حتى أنشأ نابغة الخطباء والكتاب السيد عبد الله نديم المصري الشهير مجلة (الاستاذ) في اوائل سنة ١٣١٠ وكتب فيها المقالات الطنانة الرنانة في تنبيه المسلمين الى الاخطار المحدقة بهم وبسائر الشرقيين وتنشيط هممهم لتلافيها الا ان بيئة النديم « حاله ومحله » وزمنه وسياسته اقتضت ان يكون اكثر خطابه عاما للشرقيين وفي كليات الامور الاجتماعية وان لا ينحي باللوم على الرؤساء من الامراء والحكام والعلماء والمرشدين فكانت فائدة كلامه في التنبيه المطلق وفي جزئيات وطنية وأدبية وفروع دينية وكان كلامه مؤثراً فيما نقل الي فلو بقي لاحدث في مصر تأثيراً سياسيا ادبيا له شأن . ولكن أخرج النديم من مصر بدعوى ان جريدته

تنفخ روح التعصب الديني وتنفث سموم الثورة ولم يكن تم لها سنة ولقد قرأت منها اعدادا في سوريا رأيته يحترس فيها كل الاحتراس من الوقوع في هاتين التهمتين وانما ينفع الاحتراس بالنسبة للمؤاخذة القانونية دون المؤاخذة السياسية التي اخذ بها

فتر بعد (الاستاذ) الكلام الذي يرمي الى (الجامعة الاسلامية) حتى وفقنا الله تعالى في العام الماضي لانشاء «المنار» لاحياء تعاليم العروة الوثقى فوضعنا قاعدته على اساسها وأضأنا قمته ببراسها الا ما كان فيها من السياسة التي تتعلق بالمسئلة المصرية والتحريض على الانكليز فان هذا امر ذهب بذهاب وقته والعروة الوثقى نفسها صرحت مراراً بان تلك الفرصة اذا ذهبت لا تكاد تعود ويستقر قدم الانكليز في مصر وقد كان. ولكنها قالت في شأن النهضة الاسلامية الاجتماعية المطلقة التي كانت تعمل لها مانصه (ان الرزايا الاخيرة التي حلت باهم مواقع الشرق جددت الروابط وقاربت بين الاقطار المتباعدة بحدودها المتصلة بجامعة الاعتقاد بين ساكنيها فايقظت افكار العقلاء وحولت انظارهم لما سيكون من عاقبة امرهم مع ملاحظة العلل التي ادت بهم الى ماهم فيه فتقاربوا في النظر وتواصلوا في طلب الحق وعمدوا الى معالجة المرض وعلل الضعف راجين ان يسترجعوا بعض مافقدوا من القوة ومؤملين ان تمهد لهم الحوادث سبيلا حسنا يسلكونه لوقاية الدين والشرف وان في الحاضر منها لعبرة تغتنم واليها بسطوا اكفهم ولا يخالونها تفوتهم ولئن فاتت فكم في الغيب من مثلها والى الله عاقبة الامور) اه من مقدمة العدد الاول. ولا ريب ان المسئلة المصرية ليست في هذا العام كما كانت في سنة ١٣٠١ (١٨٨٤م) اما المسئلة الاسلامية فهي هي بل تقدمت

الى الامام بالنسبة الى ما كانت عليه في ذلك العام

قلنا ان المنار وافق العروة الوثقى في تعاليمها الاجتماعية وقواعدها التي وضعتها للوحدة الاسلامية وخالفها في وجهتها السياسية المصرية ونقول ايضا انه زاد عليها البحث في جزئيات البدع وتفصيل القول في التعاليم الفاسدة والعقائد الزائفة والتربية المفيدة ونحو ذلك مما ارشدت اليه اجمالا ولم يتسع معها الزمان لتفصيله . ولهذا يقول قراء المنار انه لم توجد قبله جريدة في موضوعه . وقد اعترف لنا الكتاب المسلمون والمسيحيون ومن هؤلاء اصحاب المقتطف والمقطم وصاحب الاهرام وصاحب الهلال بأننا نصدينا لخدمة نافعة ولكن اصحاب المقطم كانوا يقولون لنا ان من الضروري ان يطلب المنار من القوة الحاكمة الاصلاح السياسي كما يطالب اهل العلم والدين بالاصلاح الديني وصاحب الاهرام كان يقول لنا ان في طريق هذه الخدمة خطرا عظيما وهو مقاومة أوربا للمسلمين اذا هم حاولوا الترقي من وجهة الدين وقد كاشف برأيه هذا بعض اكابر علماء الاسلام العارفين بالسياسة منذ بضعة اشهر فراجعه العالم القول وكتب يومئذ صورة المذاكرة في الاهرام واجتمع به كاتب هذه السطور بعد ذلك وكنت في صحبة الاستاذ صاحب المؤيد ففتح باب المذاكرة في المسئلة وكان الكلام مشتركا ولم نتفق معه على نتيجة واحدة . أما صاحب الهلال فاننا لم نر منه الا استحساناً وتحبيذا وابانة عن اعتقاد ان هذه الخطة لا أنفع منها للمسلمين ومثله كتاب دائرة المعارف وغيرهما من افاضل المسيحيين المنصفين . وفي هذه السنة كثرت الكتابة في تنبيه المسلمين فنشر المؤيد كثيراً من المقالات لكتاب من المسلمين في الشرق والغرب ومنهم الفقير منشئ هذه المجلة وبعض تلك المقالات عرّب من

جريدة (محمدان) الهندية . وكتبت مجلة الموسوعات ايضاً عدة مقالات لكتاب متعددين . ورأينا في جريدة زمان التركية التي تصدر في قبرص مقالات تحت عنوان الاتحاد الاسلامي ولم نظفر بمن يعربها لنا . وسرى السر من الجرائد المصرية الى جريدة معلومات العربية في الاستانة العلية والى جريدة ثمرات الفنون في بيروت فكتب فيهما مقالات كثيرة في الموضوع ولو سمحت لهما حكومة البلاد لتوسعا في الكتابة ثم اصاب الرشاش غيرهما من الجرائد الاسلامية في الديار السورية أما الجرائد الهندية فكثير ما كتبت وقد ترجم بعضها كثيراً من مقالات المنار وكذلك جريدة الحاضرة التونسية . والحاصل ان اكثر الجرائد الاسلامية قد خاضت في مسئلة الاجتماع الاسلامي من نحو سنة او اكثر ولم تكن تذكر قبل ذلك الا نادرا على ماعلمت من صدر هذه المقالة وفي هذين الاسبوعين كتب فيها الاهرام بعنوان (الجامعة الاسلامية) ثم كتب المقطم وناقشهما المؤيد فيما كتبا ـ هذا ملخص تاريخ الكلام في هذه المسئلة بحسب ما وصل اليه علمنا وبلغنا ان رجلا عظيما من فضلاء مسلمي القريم في بلاد روسيا اسمه اسماعيل بك قد أنشأ جريدة سماها (ترجمان) جعل جل مباحثها في الشؤون الاسلامية وأنشأ مدرستين لتربية ابناء المسلمين وتعليمهم في تلك البلاد ولم نقف على شيء من اعماله ولكن رائحته العطرية تدل على ان عمله عظيم

أما الطرائق التي بحث فيها الكتاب فهي كثيرة ولم تنجل للناس الطريقة المثلى بقول احد اذ مامن قول الا وله وجه يعتمد عليه قائله وما من شبهة على فساد رأي الا ولصاحبها تكأة يستند عليها في تقويتها والامر في نفسه اكبر من كل هؤلاء الكتاب وكيف لا وهو ترقية امة يبلغ عددها ثلاثمائة مليون

من النفوس يتبوّؤن كل قطر وينطقون بكل لغة وحكامهم من انفسهم ضعفاء ومن الاجانب عنهم اقوياء. وأضعفهم هذا الفقير قد اشتغل بدراسة هذه المسئلة بضع سنين وهو في كل يوم يزداد بها علما لم يكن عنده ويزيح جهلا كان يغشاه — ان لم يكن في اصولها وقواعدها ففي جزئياتها وشواردها. وما يقف عليه الانسان في سنين لا يمكن ان يجليه لمن لم يقف عليه في مقالة او عشر مقالات (مثلا) بحيث يؤدي اليه فكره ووجدانه تامين بتلك المقالات ولكن الميزان الذي يجب ان نزن به الاقوال والآراء لنعلم النافع منها والغير النافع هو ان ننظر فيما يعرض علينا فما كان منها مقوّما لفكر ومصححا لرأي او اعتقاد فهو نافع وما كان منها مرشداً الى عمل مفيد ممكن فهو نافع وما عدا هذين النوعين فهو اما خيالات وأوهام واما غش وتغرير واقل ضرر فيه انه حجاب على وجه الحقيقة وتعليل الآمال بما لا ينال وازاغة للقلوب عن صراط الحق ومن انحرف عن الصراط المستقيم فهو يزداد بعداً عن الغاية كلما جد في السير وأي خذلان اكبر من كون سعي المرء واجتهاده مبعداً له عن غايته ومراده ؟ لا يعرف الحق بقائله وكونه صديقا او عدواً ولا بكونه يستلزم تعظيم كبير ومرضاته او عدم ذلك وانما يعرف الحق بذاته فمن رعى هذا حق رعايته رجعي له التمييز بين الحق والباطل والتزييل بين النافع والضار. فاحفظ هذا الميزان وانظر ما يرجح فيه مما سيلقي عليك من الآراء والاقوال

الاهرام والمقطم منتقدان على ان الدعوة الى الجامعة الاسلامية باسم الدين مضرة وغير موصلة الى الغاية وانه لا سبيل الى ترقي الامة الاسلامية الا باتباع خطوات اوربا كما فعلت اليابان. والمؤيد رد عليهما قولهما الاول ولم يبد رأيا جديدا الا انه وافق على ان مسلك الكتاب المسلمين في الدعوة الدينية

مفيد كما ان الاخذ بالفنون والصنائع الاوربية مفيد مع ذلك وذكر في كلامه عن « الجامعة الاسلامية » مقالة لبعض افاضل كتاب الهند نقلت في المؤيد من نحو شهر وذكر انه موافق على كل ماجاء فيها وخصص بالذكر اقتراح عقد مؤتمر اسلامي في دار الخلافة العظمى وقال ان المؤيد كان قد سبق الى اقتراح هذا المؤتمر منذ اربع سنين . ومن الآراء التي تناقلتها الكتاب . فكانت مسلمة عند أولي الالباب . تعميم التربية والتعليم . انشاء الجمعيات والشركات والمنتديات العلمية والادبية . تكثير الجرائد باللغات التي ينطق بها المسلمون . اتحاد الحكومات الاسلامية . العناية بامر القوة الحربية . تعليم النساء بخصوصهن . ومهما تخالفوا وتناقشوا فلكل وجه وقد جمعنا بين الاقوال في مقالة نشرت في المؤيد حديثاً . ولكن قد ظهر في المقطم قول جديد في مقالة نسبت الى (مسلم حر الافكار) لم يتابع به قائله مسلما ولن يتابعه عليه مسلم لانه ناسف لبناء الدين الاسلامي ومقوض لعمود بنائه وهو زعم ان الدين والدولة أمران متبائنان يجب ان ينفصل احدهما عن الآخر . ولقد وجد للاسلام اعداء اجتهدوا في كل عصر بمحوه او اضعافه منهم من حاول افساد العقائد بالتأويل ومنهم من وضع الاحاديث الكاذبة ومنهم من سهل لملوك طريق الاستبداد ومنهم ومنهم ولكن مجموع مفاسدهم ومضراتهم لن تبلغ بعض مايرمي اليه هذا القول الخبيث الذي لم يخطر في بال ابليس فهو بالغ قول يشير الى احكم رأي لمحو السلطة الاسلامية من لوح الوجود قاتل الله قائله ولا كثر فيمن يدعون الاسلام من امثاله وكفى بمقالتنا التي صدرنا بها العدد الماضي رداً عليه ولدينا مزيد

هذا . واذا وزنت سائر الآراء بالميزان الذي [illegible]

الراجح والمرجوح من سائر الاقوال . يظهر لك ان من تلك الآراء مالا يقوم رأياً واعتقاداً ولا يرشد الى عمل نافع يرجى القيام به وذلك كعقد مؤتمر في الاستانة العلية على ان المنار كان قد اقترح في مقالات (الاصلاح الديني) (التي نشرت في اوائل شعبان من السنة الماضية) تأليف جمعية اسلامية تحت حماية الخليفة يكون مقرها في مكة المكرمة ولها شعب في سائر البلاد الاسلامية وجريدة مخصوصة اوجرائد وبيناهناك وجوه ترجيح مكة على الاستانة كما بينا اصول وظائف الجمعية وأعمالها ونتائجها . أما الاصول فهي التوحيد في العقائد والتعاليم الادبية التهذيبية والاحكام القضائية والمدنية واللغة وأما الاعمال فأهمها تلافي البدع والتعاليم الفاسدة واصلاح الخطابة والدعوة الى الدين وأما نتائجها فأهمها اتحاد الحكومات الاسلامية وكل قول فصلناه تفصيلا

واذا ارتقينا في الاسباب وسبرنا اعماق الاقوال والآراء ننتهي الى القول بان سبب النهضة الذي يجمع الاسباب كلها هو تعميم التربية العملية والتعليم الصحيح من الوجهة الدينية الجامعة لمصالح المعاش والمعاد . وهو ماصرحنا به في فاتحة العدد الاول من المنار وأقمنا عليه البرهان في العدد الثاني وجرينا في سائر الاعداد الى الآن على تفصيل اجماله وبيان ابهامه . (خلافا لما قاله مصباح الشرق) واكبر عقبة امامنا في هذا الطريق هي ندرة الرجال القادرين على التعليم الذي نريده والتربية التي نبتغيها ومع ندرتهم لاتعرف الامة قيمتهم ولا تنيط بهم ماخلقوا لاجله . فالجامعة الاسلامية والاتحاد الاسلامي وكل مايرجوه الاسلام متوقف على وجود الرجال العارفين بحاجة الامة واناطة الاعمال بهم . فنسأل الله تعالى ان يكثر فينا من امثالهم . وينفع امتنا بعلومهم وأعمالهم .